الوعي السياسي

ضرورة حيوية

د. صلاح الدين النكدلي

أدركت الحركة الإسلاميّة المعاصرة أهمية (الوعي السياسي) في عملية تجديد الإسلام في حيـــاة المـــسلمين ، وضرورته في المواجهة الحضارية مع الفكر المتغلب ، الذي يصر على إقصاء الإسلام وفرض قيم الغرب وشرائعه في حياة الأمة المسلمة .

وتمكنت حركة التجديد الإسلامي –على الرغم من العوائق الداخلية والعقبات الخارجية– من بناء مـــستوى مقبول من الوعي السياسي المنطلق من مبادئ الإسلام الحنيف ، وما يزال أمامها أشواط وأشواط حتى تـــصل إلى مستوى نضج جماعي على مستوى الحركة والأمة .

وغني عن البيان أن هناك قوى محلية وعالمية ترصد حركة الوعي الـــسياسي الإســـلامي ، وتـــضع الخطـــط لتشويهها وعرقلة نموها ، وتعمل على احتوائها وتبديد تأثيراتها التغييرية .. وأن على الحركـــة الإســـلاميّة ، إذا أرادت النجاة من أحابيل قوى الشر ، أن تولي مسألة الوعي السياسي اهتماماً يتناسب مع ضـــخامة الواجبـــات وشراسة التحديات .

* * *

وإذا نظرنا إلى مصطلح الوعي السياسي .. فإننا نجده مرتبطاً –من الناحية الواقعية– بالوقائع والأخبار .. باعتبارها إفرازات قوى الواقع التي تقذف إلى ساحة الاهتمام بقضايا متجددة .. تؤثر على الإنسان تأثيراً مباشراً . ومن هنا يأتي الاهتمام الكبير بوسائل الاتصال (الإعلام) من قبل القوى المتعارضة والمتصارعة .. سواء في أوقات السلم أم في أوقات الحرب .. بل ويمكن ملاحظة ظاهرة (الإعلام) حتى في العلاقات الفردية والجماعية المحدودة .

والوعي السياسي الذي يتعامل مع الوقائع والأخبار يقوم على أصلين من وجهة النظر الإسلاميّة :

أولاً– صحة الخبر : والمعبر عنه في تراثنا الفقهـــي بـ (علم الرواية) ؛ فلا يصح أن يتعامل المسلم مع الوقائع .. فيقبلها أو ينقلها .. إلا إذا اطمأن إلى صحتها .. وهذا الأصل دلت عليه نصوص كثيرة ، نذكر هنـــا منها :

▪ قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات : ٦]

▪ وقوله ﷺ : « **كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ** » رواه مسلم

لأن كثيراً من الأخبار ربما كانت مكذوبة أو ناقصة ، وفي الحالتين يسهم ناقلها –إذا لم يتبين صحتها ويقف على نقصانها– في إشاعة الكذب وتضليل الآخرين ، وقد يكون الناقـــل أول ضـــحايا الأخبـــار الكاذبة أو الناقصة !! .

ملاحظتان تتعلقان بصحة الأخبار :

الأولى : ينبغي أن يولي تيار التجديد الإسلامي موضوع (التثبت من صحة الأخبار) أهمية خاصـــة ، لأن الآراء والمواقف والتصرفات لا تستقيم إلا إذا قامت على معلومات صحيحة .

وهذا يفرض على المسلم أن يتمرس على التفريق بين (التقوى) وبين موهبة (الحفظ) وبـــين (نوعيـــة المحفوظ) . إذ لا يشترط في تقي القلب أن يكون (حافظاً) ، ولا في الحافظ للنصوص والأخبار أن يكون قادراً على التمييز بين الصحيح المقبول منها والجريح المردود . ومَنْ جمع بين (التقوى والحفظ والتثبـــت) كان قمة في المرجعية ، ومَنْ فقد (التثبت) فإن التقوى وكمية المحفوظ لا تشفعان في قبول ما ينقله مـــن الوقائع والأخبار .

الثانية : ويجب أن يتحلى المسلم بـ (العدل) حتى مع الخصوم ؛ فلا يصح أن يقبل كل مـــا ينـــسب إليهم ، أو يرفض كل ما صدر عنهم ، من غير تمحيص . وهذا ما يرشد إليه قول ربنا الكريم :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُـــوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٨] .

* * *

ثانياً : تحليل الخبر : والمعبر عنه في أدبيات سلفنا بـ (علم الدراية) ، والذي يفرض التفريق بين من (يحفظ الأخبار) وبين من (يفقه الأخبار) إذا تعذر اجتماع موهبة الحفظ وقوة الفقه في شخص أو مجموعة أفـــراد . وهـــذا التمييـــز ضروري لأن عامة الناس تبهرهم الحافظة الجيدة ، فلا يسألون : هل وراء الحفظ قلب مـــدرك أم لا ؟ . ومـــا أروع وأعمق توجيه الرسول ﷺ إلى ضرورة التمييز بين (الحافظ) و(الفقيه) وذلك في قوله :

« **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا ، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْـــهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيه** » رواه الترمذي وغيره بسند صحيح .

وقد جاء التوجيه القرآني واضحاً حاسماً في الطريقة المثلى للتعامل مع الأخبار ، وخاصة تلك التي تتعلق بأمن الأمة والبلاد ، وذلك في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الـــشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِـــيلاً** ﴾ [النساء : ٨٣] .

* * *

قواعد فقه الأخبار (الوعي السياسي) :

١- **الوقائع** : فلا يكفي الاطمئنان إلى صحة الأخبار ، بل لا بد من معرفة أمور أخرى ، مثـــل : مـــا درجـــة وضوحها ؟ هل هي جزئية أم كاملة ؟ ما ملابسات حدوثها ؟ .. إلخ .

٢- **المعلومات السابقة** : وتتعلق بـ :

أ- الجهة التي صدر عنها الخبر .
ب- الجهة التي يعنيها الخبر .

وتحت هذا العنوان يدخل مسائل مثل : (نظام الحكم) (تيارات المجتمع وقواه السياسية) ، (المصالح : هـــل هـــي حيوية أم لا ؟) (التكوين الثقافي لأصحاب القرار) .. إلخ .

٣- **الربط بين الوقائع والمعلومات السابقة** : وقوة الربط يتفاضل فيها الناس ، ولذلك فإنهم يتفاوتون في تحديـــد المواقف ، وفي توقع ردود الفعل ، ونحو ذلك . وهنا تظهر نظرية البدائل أو الاحتمالات .

* * *

نظرية البدائل : يهدف الوعي السياسي إلى توفير شروط مناسبة لفهم الوقائع وتحليلها ، من أجل تحديد الموقـــف المناسب ومعرفة خطوات المستقبل .

والتعامل مع الحوادث السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تحكمه –من وجهة النظر الإسلاميّة– نصوص محددة في الأعم الغالب ، وإنما تضبطه قواعد مستمدة من أحكام الإسلام ومقاصده ، مثل :

- **درء المفاسد مقدم على جلب المصالح** .
- **يُحْتَمل أخفّ الضررين لاتقاء أشدهما** .
- **تفويت أصغر المصلحتين لتحصيل أكبرهما** .
- **الضرورات تبيح المحظورات .. إلخ** .

وهذا يفرض على العاملين في الحقل السياسي –وغيره من أوجه النشاط الإنساني– فكرة البدائل بضوابط الشرع ، ونظرية البدائل تطرح مجموعة حلول ، وتطالب باختيار الأفضل من وجهه نظر صاحب القرار . ونـــضرب مثـــالين يقربان المقصود بنظرية البدائل :

١- يتفق جميع العاملين في حقل الدعوة الإسلاميّة على وجوب العمل على إصلاح واقع المسلمين داخل حـــدود العالم الإسلاميّ . ولكن ما هو الطريق الأمثل الواجب اختياره (بدائل) في عملية التغيير ؟ هـــل هـــو (سياســـي) أو (عسكري) أم (ثقافي) أم (إصلاحي) ؟

هذه خيارات رئيسية (بدائل) ، وقد يدمج بعض العاملين بين الثقافي والسياسي ، أو الإصـــلاحي الثقـــافي ، أو السياسي والعسكري ، أو ، أو .. إلى آخر قائمة البدائل .

٢- أمام إضراب عمال شركة صناعية ومطالبتهم برفع الأجور تقف إدارة الشركة ، أو السلطة الحاكمة ، أمـــام خيارات رئيسية (بدائل) :

- قبول الطلب .
- رفض الطلب .
- تعديل الطلب .
- تأجيل الطلب .

* * *

وأخيراً .. فإن الحياة البشرية في تغير مستمر ، وتشابكها وتقاطعها لا يقف عند حد ، وأمام كل قضية يقـــف الناس عند نقاط هامة :

١- تحديد المشكلة أو الموضوع ، وما هو الجوهري منه والهامشي .

٢- اكتشاف خيارات التعامل مع المشكلات وتحديدها .

٣- اختيار الحلّ المناسب ، كما يلوح لأصحاب القـــرار ، في حـــدود إمكانـــاتهم الماديـــة ، وشـــروطهم الاجتماعية ، وظروفهم النفسية ، وعلاقتهم بقوى أخرى .. إلخ .

والخيارات تكون غالباً محفوفة بمخاطر ، وقد لا تسلم من مخالفات أو اعتراضات ، وهذه الحقيقة تطالب تيار التجديد الإسلاميّ برفع مستوى فهمهم للإسلام ، وبخاصة (فقه المقاصد بضوابط الـــشرع) وبرفـــع مـــستوى معرفتهم بالواقع وحقائقه ، وأن يتمرسوا على حسن التعامل مع المتغيرات ، إذا أرادوا امتلاك البصيرة في حمـــل أمانة الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ .

* * *